تأثير الفضائيات على اكتساب الأحداث للسلوك الانحرافي

أ. سعيـــد زيـــوش
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

ملخص:

مما لا شك فيه أن السلوكيات الانحرافية قد انتشرت في كل مكان، بل تعدى الأمر إلى الاعتياد على أنه قد أصبح شيئاً عادياً أن نرى حدثاً يُرتكب سلوكاً يصنف تحت السلوكيات الجانحة، إلا أن الأمر أبعد من ذلك، إذا اعتبرنا أن ظاهرة الجنوح من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي لفتت أنظار الباحثين والمسئولين على حد سواء، وذلك لما لها من تأثير على الأمن الاجتماعي وعلى شريحة مهمة من الموارد البشرية، وقد تم بحث الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى الجنوح في العديد من البحوث (الاجتماعية السوسيولوجية)، ومن بين هذه الأسباب التفكك الأسري، وانخفاض مستوى الدخل، بالإضافة إلى أسباب أخرى لا تقل خطورة عن الأسباب السابقة وهي مشاهدة القنوات الفضائية وأفلام الفيديو، والأقراص المضغوطة (DVD -CD-R)، التي ساهمت في ظهور فئة من الأحداث الذين تقمصوا الكثير من المظاهر أو الشخصيات سلباً أو إيجاباً.

Résumé:

Les comportements déviants se dispersent partout sans doute et si vite. On considère récemment le délinquant qui commis des actes déviants comme un acte normal, mais les choses ont dépassé ce stade car le phénomène de délinquance est parmi les phénomènes sociaux dangereux ; il a attiré l'attention des chercheurs ainsi que les responsables politiques parce qu'il influe sur la sécurité sociale et sur une vaste catégorie de notre société. Plusieurs études sociologiques visent à trouver les causes et les facteurs qui poussent aux déviances. Parmi ces causes : la désintégration de la société, le faible niveau du revenue, les programmes de la télévision, les films, les DVD, qui contribuent à créer une nouvelle classe de délinquants qui affectent négativement ou positivement des apparences sociales.

مقدمة:

لقد أصبحت القنوات الفضائية جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا المعاصرة، فهو مصدر للتسلية والثقافة ووسيلة للتعليم ومعرفة الأحداث الجارية وأخبار العالم والطقس والرياضة والفن والموسيقى، ومما لا شك فيه أنه غدا أكثر وسائل الاتصال فاعلية، الأمر الذي يؤهله للعب دور ايجابي أو سلبي في حياة أطفالنا.

وبالطبع، لنا أن نتصور اتساع الآفاق التي يمكن أن يفتحها التلفاز أمام أولادنا، وكم هو شاسع عالم المعرفة والترفيه الذي يمكن أن يقودهم إليه.

واللافت أن العالم العربي شهد في الفترة الأخيرة تكاثرا عشوائيا للمحطات الفضائية والقنوات الرقمية المتخصصة، ما يعني وجود فيض من المحتوى التلفزيوني منه القيّم ومنه الرديء، وهذا ما أثار في السنوات القليلة الماضية تساؤلات ومخاوف من التأثير الفعلي للقنوات الفضائية على الحدث من الناحية الجسدية والنفسية وعلى سلوكه ضمن محيط معيشته.

فالقنوات الفضائية اليوم هي وسيلة العصر الأساسية فقد تبين من متابعة لمدى انتشارها أن بعض الدول تلتقط 700 قناة بهوائيات ترفع على السطح تستقبل من خلالها ما يبث مباشرة عبر الأقمار الصناعية، ومالكوها يبثون عمدا وإصرارا رسائل معينة يتوفر لها من أسباب الجذب والإغراء ما يجعلها محط أنظار المشاهدين الذين يستطيعون استيعاب جوانب كثيرة من الرسالة المبثوثة بحكم المزج بين الصوت والصورة.[1]

وعن الوضع الحالي للأطفال المنحرفين بالجزائر، بينت آخر الإحصائيات من طرف المركز الوطني للإحصائيات أنه يشهد تنام من سنة لأخرى، ففي الوقت الذي أحصت فيه مصالح الأمن الوطني عدد 10965 حدث متورط في مختلف الجرائم سنة 2004، سجلت نهاية 2005 عدد 11302 حدث تاركة آثارا للجريمة بمختلف أنواعها، تأتي في مقدمتها السرقة بعدد 4739 حدث متورط، وبالرغم من تسجيل انخفاض ملموس في عدد الأحداث المتورطين لسنة 2007 بعدد 9995 حدث منحرف [2]، وهو ما نقرأه أو نسمع عنه يوميا بتسجيل جرائم سرقة في مختلف أنحاء الوطن وخاصة المدن الكبرى.

وانطلاقا من هذا فإن تأثير التلفاز على الطفل مشكلة اجتماعية جديرة بالبحث، وإن الضرورة ملحة الآن أكثر من أي وقت مضى لدراسة تأثير القنوات الفضائية (وما تحتويه من برامج) على اكتساب الحدث للسلوك الانحرافي.

وعلى ضوء ما سبق يمكن طرح التساؤل الرئيسي التالي:

ما تأثير برامج القنوات الفضائية على اكتساب الحدث للسلوك الانحرافي ؟.

ويتفرع من هذا التساؤل التساؤلات التالية:

1- ما هي أهم القنوات الفضائية المفضلة للأحداث؟

2- ما هي أهداف مشاهدة القنوات الفضائية لدى الأحداث؟

3- ما هي أنماط مشاهدة برامج القنوات الفضائية لدى الأحداث؟

4- ما هو دور الأسرة في انتقاء ما يشاهده الأحداث من برامج تلفزيونية؟

5- هل هناك علاقة بين ما تبثه القنوات الفضائية من برامج واكتساب الأحداث للسلوك الانحرافي؟

فرضيات الدراسة:

1- القنوات الفضائية الغربية هي أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الأحداث.

2- تعود مشاهدة الأحداث للقنوات الفضائية إلى الرغبة في مشاهدة أفلام العنف والإثارة.

3- تختلف أنماط مشاهدة برامج القنوات الفضائية من حدث إلى آخر.

4- هناك غياب لدور الأسرة في انتقاء برامج القنوات الفضائية للأحداث.

5- هناك علاقة بين ما تبثه القنوات الفضائية من برامج واكتساب الأحداث للسلوك الانحرافي.

أهداف الدراسة:

يتم حصر أهداف هذه الدراسة في الآتي:

1- بيان أنماط المشاهدة وانتقاء التعرض لبرامج القنوات الفضائية لدى الأحداث.

2- معرفة أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الأحداث.

3- تحديد أسباب مشاهدة القنوات الفضائية لدى الأحداث.

4 -التعرف على دور الأسرة في انتقاء ما يشاهده الأحداث من برامج في القنوات الفضائية.

5 -الوقوف على ما إذا كانت هناك علاقة بين مشاهدة برامج القنوات الفضائية والسلوك الانحرافي لدى الأحداث.

أولاً : الإطار النظري للدراسة

1- نظرية دوركايم في الانحراف والجريمة

يذهب "دوركايم" في تفسيره للانحراف والجريمة إلى الربط بين الفرد والمجتمع وظروف البناء الاجتماعي وتقسيم العمل وحالة فقدان المعايير التي يخلقها تقسيم العمل الاجتماعي، كما أكد "دوركايم" في نظريته في الانتحار على قيمة العوامل الاجتماعية في الانحراف وارتكاب الجريمة، كما أشار إلى أن الجريمة ظاهرة سليمة

ومفيدة وضرورية لارتباطها بالشروط الضرورية لكل حياة اجتماعية، وذلك لأن تحقق الشروط التي ترتبط بالجريمة يمهد الطريقة للتغيرات الأخلاقية والقانونية فيتحقق التطور لكل من الأخلاق والقانون.

ولا يقصد "دوركايم" بذلك تمجيد الجريمة بل يرى أن وجود الجريمة يدعو إلى الأسف وأنها نتيجة لطبيعة الإنسان الشريرة التي لا سبيل إلى تعديل سلوكه وتقويمه.[3]

وقد حدد "دوركايم" ثلاث صور للسلوك المنحرف هي:

أ-الانحراف البيولوجي والنفسي:

يصيب الانحراف البيولوجي والنفسي الفرد دون المجتمع، حيث يعجز الفرد عن مسايرة قيم المجتمع ويفشل في تحقيق التوافق بسبب خصائصه البيولوجية أو سماته الشخصية النفسية مما يؤدي به إلى الانحراف والوقوع في الجريمة.

ب- الانحراف الوظيفي:

وهو ثورة الفرد على المجتمع تسوده الصورة الشاذة لتقسيم العمل، إلا أن هذا الفرد العارض للفساد يعد من وجهة نظر المجتمع فرداً منحرفاً.

ج- الانحراف الاجتماعي:

ويكون مصدر هذا الانحراف ما يلي:

أ- الافتقار إلى المعايير والقواعد الاجتماعية .

ب- الأنانية وتعني الإيمان المطلق بالفرد. [4]

2- نظريـــة التقليـــد:

ترى هذه النظرية أن التقليد هو أساس تعلمنا السلوك بوجه عام، وبما أن السلوك الإجرامي هو نوع من السلوك، فالفرد يتعلمه عن طريق التقليد إذا ما نشأ في بيئة إجرامية، وفي ضوء ذلك فسر " تارد ":

1- أن زيادة نسبة الجريمة في المدن عن الريف يرجع إلى أن الاحتكاك والاختلاط في المدينة أكثر من الريف.

2- أن المركز الاجتماعي للفرد يعتبر من العوامل التي تساعد على تقليد السلوك، فالفرد الفقير يقلد الفرد الغني والصغير يقلد الكبير. [5]

وقد تعرض " تارد " إلى العديد من الانتقادات وذلك لأنه قنع بقانون المحاكاة وجعله العنصر الرئيسي الذي يُفسر به كل ظاهرة اجتماعية، ولم يكشف عن الدوافع التي تدفع الفرد إلى المحاكاة والتقليد، كذلك لم يوضح إذا التقليد إرادي أو غير إرادي.(6)

غير أنه عُيب على تلك النظرية أنها أهملت تماماً دور العوامل العضوية والنفسية في الدفع نحو السلوك الإجرامي،فمن البديهي أن تكون العوامل العضوية مثل خروج الفرد عن أسس وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه، أو العوامل النفسية مثل الإحباط أو الإحساس بالعزلة وغيرها، مما يسبب لدى الفرد حالة من عدم التوازن وبالتالي القدرة على نهج سلوك منحرف.

3- نظرية التفكك الاجتماعي:

تعتمد هذه النظرية في تفسيراتها التي تقدمها لظاهرة الجريمة على التفكك الاجتماعي Social disorganization, والذي يعرفه" ميشيل مان" بأنه مصطلح يشير إلى: جملة من الاضطرابات التي تصيب النمط والنظام والتقليد بالمجتمع وهي مقترنة بالتغيير الاجتماعي، ومن جهة أخرى تؤثر سلباً على الضبط الاجتماعي بالمجتمع.(7)

إن التفكك الاجتماعي يحدث في مكونات التنظيم الاجتماعي، الذي يشمل بدوره مجموعة من القواعد والتنظيمات والمعايير والقيم والأفكار تحدد العلاقات بين الأفراد وتنظمها، هذه القواعد هي نتاج الإجماع في المجتمع وتفاعل الأفراد فيما بينهم، وهي إما أن تكون مكتوبة أو غير مكتوبة (الأعراف)، تتلخص في شكل عادات سلوكية وتقليد وأفكار ومبادئ أخلاقية ومُثل، ومعنى حدوث التفكك في التنظيم وهو عدم تأدية هذه القواعد لوظيفتها الأساسية مما يخلق حالة من الاضطراب والفوضى، وللتفكك الاجتماعي أشكال عدة منها:(8)

1- فشل مؤسسات المجتمع في تعزيز علاقاتها ببعضها البعض مما يعوق تحقيقها لأهدافها، ويرجع البعض هذه المشكلة إلى حالة عدم تماسك مكونات المؤسسة الواحدة بالمجتمع، وهناك من يرى أن مرد هذه المشكلة للأفراد الذين يقومون بتأدية وظائف هذه المؤسسات أو تلك.

2- ضعف العلاقات التي تربط الأفراد ببعضهم البعض، مما يؤدي إلى انتشار الفردية بينهم.

3- فشل المجتمع في تعديل أو تجديد المعايير الاجتماعية الموجهة للسلوك في ظل التغيير الاجتماعي السريع.

وعموماً يعتقد أنصار هذه النظرية أن استقرار أي مجتمع يعتمد على انتظام ما هو مُتوقع من الأفراد في إطار ثقافة المجتمع، فإذا توافق الأفراد على ماهو مقبول من السلوك ووضعت الضوابط الاجتماعية اللازمة لذلك فإن

المجتمع سيكون مستقراً بدرجة أو بأخرى، ولكن عندما ينهار نظام التوقعات الاجتماعية وينهار تِبعاً لذلك نظام التوافق لأي سبب من الأسباب وعندما لا تلائم قواعد السلوك ما هو كائن و لا يتم إيجاد قواعد أخرى تلائم ما هو كائن أو مستحدث من الظروف، أو عندما تتعرض قواعد السلوك للنقد أو التغيير بواسطة قواعد أخرى جديدة فإن هذا المجتمع يكون في حالة تفكك اجتماعي ، وهي تعني أن الأفراد لا يشتركون في نفس التوقعات الاجتماعية لأي مظهر من مظاهر السلوك أي أن درجة ما في التغير الاجتماعي تحتوي على درجة ما من عدم الانتظام والتوافق تكون بمثابة الأرضية لوجود التفكك الاجتماعي ومن ثم السلوك الانحرافي.

4- نظرية الاختلاط التفاضلي:

ومؤدى نظرية الاختلاط الفارق أن السلوك الإجرامي مكتسب وليس موروثاً ويحدث من خلال التعلم. فكما أن الفرد لا يستطيع أن يخترع آلة ميكانيكية دون أن يتلقى تدريباً فنياً يتعلق بهذا الأمر، فإن الفرد لا يندفع نحو السلوك الإجرامي طالماً لم يتلق تدريباً على ارتكاب الجريمة. فالجريمة لا تخترع بصورة ذاتية من قبل الشخص بل تكتسب من خلال الاختلاط أو الاتصال بمجتمع الفاسدين ، سواء اتخذ هذا الاتصال صورة شفوية أو من خلال اتخاذ المثال.

ويؤكد "سذرلاند" على أن السلوك الإجرامي يتم اكتسابه وتعلمه في إطار من العلاقات الشخصية، وأن وسائل الاتصال غير المباشرة، والتي لا تقوم على رابطة مباشرة بين الأفراد كوسائل الإعلام المسموعة والمقروءة لا تحدث تأثيراً جدياً في الدفع نحو الإجرام. وقد قدم " سذرلاند " مجموعة من القضايا التي تؤدي بالفرد إلى ارتكاب السلوك الانحرافي وهي:

1- السلوك الانحرافي متعلم وليس وراثياً.

2- يتم تعلم السلوك الإنحرافي عن طريق عملية الاتصال الجماعي.

3- يحدث الجزء الأساسي من عملية تعلم السلوك الإنحرافي داخل الجماعات يرتبط أعضاؤها بعلاقات شخصية قائمة على المودة.

تتضمن عملية تعلم السلوك الإنحرافي على ما يلي:

أ- يصبح الشخص منحرفاً بسبب توصله إلى الآراء التي تحبذ مخالفة القوانين.

ب- يمكن للارتباطات المتمايزة أن تتفاوت من حيث التكرار والأسبقية والكثافة.

ج- تتضمن عملية تعلم السلوك الإنحرافي عن طريق الاتصال بالنماذج الإجرامية وغير الإجرامية جميع الميكانيزمات التي يتضمنها أي تعلم آخر.

د- إذا كان السلوك الانحرافي يمثل تعبيراً عن حاجات وقيم عامة، فإنه لا يمكن تفسيره من خلالها لأن السلوك السوي هو تعبير عن نفس هذه الحاجات والقيم.

وعلى الرغم من نجاح "سذرلاند" في إبراز أهمية العلاقات الشخصية في الدفع نحو السلوك الإجرامي، إلا أنه قد أخذ على نظريته بعض المآخذ نذكر من بينها الآتي:

1- فقد قيل أن هذه النظرية لا تفسر كل صور السلوك الإجرامي. فهي تعجز عن تفسير إجرام المنتمين إلى الطبقة العليا في المجتمع، والفرض أن هؤلاء لا يختلطون مع المجرمين على النحو الذي يفترضه "سذرلاند". وقد حاول "كريسي Cressey" الرد على هذا النقد بقوله أن بعض الأفراد قد يرتكبون جرائم دون اختلاطهم بمجرمين نتيجة تعرضهم لمواقف إجرامية يخلقها لهم أفراد غير مجرمين، ولنا أن نمثل لذلك بحث الأم وليدها على عدم السرقة، في الوقت الذي تدفعه إلى ذلك بحديثها المتكرر عن تدني مستوى الأسرة المعيشي إذا ما قورن بالأسر المجاورة لها.

2- كما عيب عليها عجزها عن تفسير الجرائم التي ترتكب في ثورة انفعال، أو الجرائم التي تقع في فترات الطفولة المبكرة، قبل أن يخالط الطفل غيره مدة كافية لتعلم السلوك الإجرامي، وقد حاول "كريسي" التخفيف من هذا النقد بقوله أنه يعود إلى نقص الأبحاث التجريبية التي تثبت صحة فروض النظرية.

3- كما قيل أن السلوك الإجرامي هو نتاج النزعات الفطرية والميول الغريزية ولا يحتاج إلى تعلم، فالنفس بطبيعتها أمارة بالسوء، فالإنسان – وعلى نحو طبيعي ومبكر – يميل إلى الكذب والعنف. ويظل الإنسان هكذا بحاجة إلى تعلم السلوك القويم وتهذيب النفس، دون تعلم الإجرام.

4- ليس صحيحا ما تذهب إليه هذه النظرية من أن الفرد ينبغي أن يكتسب نوعاً من المهارة والتعلم قبل ارتكاب الجريمة، فإذا كان هذا يصدق على بعض الجرائم التي تقوم على المهارة والذكاء – كالنشل والنصب مثلاً – فإنه لا يصدق على جرائم أخرى لا تتطلب نفس القدر من الذكاء، كجرائم العنف وخيانة الأمانة والسب والقذف.

5- أن هذه النظرية لم تبين لنا العوامل التي تدفع الشخص نحو الاختلاط بجماعة بعينها، فاسدة أو غير فاسدة. فلا شك أن هذا الأمر لابد وأنه يتوقف على عوامل تتصل بالتكوين الداخلي للفرد، وقد حاول "سذرلاند" الرد على هذا النقد قائلاً أن الفرد لا يختار جماعة دون أخرى، بل أن تأثير جماعة معينة يغلب عنده ويعلو على تأثير جماعة أخرى، ولا يمكن القول بتوقف هذا الاختيار على العوامل الداخلية والتكوينية للفرد إلا إذا افترضنا أن تأثير الجماعات المحيطة كان على درجة واحدة، وهو افتراض غير صائب لأن تأثير المخالطة يتفاوت – كما سبق القول – بحسب أسبقيتها ومدتها ونظرة الفرد لمن يخالطهم.

والواقع أن هذا الرد من جانب "سذرلاند" لا يفلح في إنقاذ نظريته من النقد، حيث أن المخالطة – ومع توافر الأمور الثلاث الأخيرة – لا تعني حتمية اكتساب السلوك الإجرامي.

5- نظرية الأنومي (المعيارية):

وسواء نظرنا إلى مفهوم الأنومي بمعناه الأصلي الذي يعني حالة تنعدم فيها المعايير أو بمعناه الحديث الذي يعني عجز البناء الاجتماعي عن أن يقدم لبعض الفئات الاجتماعية بكفاءة ما يمكنهم من تحقيق الأهداف التي تحدث.

الأنومي أو اللامعيارية والتي أرى أنها تتمثل في ثلاثة صور أساسية على مستوى البناء الاجتماعي وهي:-

أ- موقف اجتماعي يفتقر إلى القواعد الملائمة.

ب-غموض الموقف الاجتماعي.

ج- عدم وجود اتفاق عام على القواعد الملائمة للمواقف الاجتماعية أو عدم وجود تفسير عام لهذه القواعد.

أما على مستوى الفرد فتعني حالة التخبط وعدم الرؤيا لما هو صواب أو خطأ بسبب ضعف المعايير الموجهة للسلوك أو تناقضها.

وبالنظر لثقافة المجتمع فإن هذا المفهوم يتضمن ثلاثة متغيرات وسيطة منها متغير ثابت يتمثل في نوع من التفكك والانحلال الاجتماعي وهذه المتغيرات هي:

أ- وجود الانحلال الشخصي الذي ينشأ لدى فرد من الأفراد بحيث يسير سلوكه دون اتجاه معين ودون مراعاة للقواعد الاجتماعية المتفق عليها.

ب- الموقف والظروف الاجتماعية التي تتصارع فيها القيم والمعايير ويقع فيها الفرد بحيث يتعرض لضغوط تلك المواقف والظروف ويجد صعوبة عندما يحاول أن يساير المعايير المتناقضة.

ج- وجود وضع اجتماعي يخلو من المعايير بحيث يصبح هذا الوضع شاذاً وفوضوياً في المجتمع. (9)

ومما سبق فإن المبدأ الذي تتبناه نظرية الأنومي لدراسة السلوك المنحرف عامة والسلوك الإجرامي خاصة يختلف عن بقية المبادئ والاتجاهات للنظرية الأخرى ذات البعد الحتمي، الذي يربط بين السلوك الانحرافي وبعض المتغيرات المحددة ، ولذا تعد نظرية الأنومي أكثر عمومية ومناسبة لتفسير السلوك الإنحرافي في مختلف المجتمعات الحضرية المتقدمة وخاصة المجتمعات المتجهة حديثاً نحو التحضر والتحديث الاجتماعي وفق النمط الغربي، ذلك أن المجتمعات ذات الانفتاح والانجذاب نحو التحديث الاجتماعي تتسم بضعف التأثيرات الأولوية للضبط الاجتماعي " غير الرسمي " إلى جانب ما قد يؤدي بالتالي إلى صراع في القيم والمعايير الاجتماعية، كما

أن هذا المدخل يعد أكثر مناسبة للمجتمعات النامية المتحولة نحو التحديث بسبب عدم استقرار نظامها السياسي وعليه فإنه من المتوقع أن يكون السلوك الانحرافي والإجرامي ذا مؤشرات أعلى، ومما يزيد من هذا الاحتمال في المجتمعات المتحولة نحو التحديث، تأثير فعالية وسائل الإعلام العابرة للقارات.[10]

ثانياً: مجتمع الدراسة الميدانية:

يعرف مجتمع الدراسة كما بين "ربحي عليان" أنه الذي يشتمل على جميع عناصر المشكلة المطلوب دراستها ويتكون مجتمع الدراسة عادة من عناصر ومفردات،[11] ويتكون مجتمع الدراسة الحالي من جميع نزلاء مركز إعادة التربية والتأهيل بابن عاشور ولاية البليدة.

1-عينة الدراسة وطرق اختيارها

على اعتبار أن جميع عناصر العينة موجودة في مركز إعادة التربية والتأهيل ببن عاشور ولاية البليدة، فإننا اعتمدنا طريقة المسح الشامل لكامل أفراد العينة.

من المعلوم أن نتائج الدراسة لا تسير وفقاً لأسلوب واحد يمكن أن يتبعه الباحثون، بل وفقاً لأساليب متعددة ومختلفة، ورأينا أنه من أفضل هذه الأساليب هو الذي يتم وفقاً لتساؤلات الدراسة. بناء عليه سنعمد فيما يلي، إلى استعراض نتائج الدراسة استنادا لتساؤلاتها المطروحة سابقاً، بحيث يشكل كل واحد من هذه التساؤلات عنواناً مستقلاً في هذا الفصل.

بلغت عينة دراستنا (100) فرداً، وهم جميعا الموجودين في المركز، وبالتالي فرضت الدراسة تطبيق المنهج المسحي، وهذا يعود بدوره إلى طبيعة الدراسة التي تهدف إلى الكشف عن تأثير برامج القنوات الفضائية على اكتساب الأحداث للسلوك الانحرافي.

2- أداة جمع البيانات:

يعد تصميم العينة وتحديد أطرها ووحداتها وتشخيص المنطقة التي تنتقى منها واختيار الطريقة المنهجية التي من خلالها تجمع البيانات، فقبل توزيع الاستمارات على المبحوثين يجب أن يكون لدى الباحث دليل يمكن الاعتماد عليه في مقابلاتهم واستدراجهم في الدخول إلى المواضيع التي تهتم بها والتي يود جمع المعلومات حولها من خلال طرح الأسئلة المختلفة عليهم وإتاحة المجال أمامهم بالإجابة الصريحة والموضوعية عليها، حيث أن استمارة استبيان تحتوي عادة على مجموعة أسئلة بعضها مفتوحة وبعضها مغلقة، وبعضها يتعلق بالحقائق وبعضها الآخر يتعلق بالآراء والمواقف.

استمارة استبيان هي الوسيلة العلمية التي تساعده على جمع الحقائق والمعلومات من المبحوث، وهي الوسيلة التي تفرض عليه التقيد بموضوع البحث المزمع إجراؤه، وعدم الخروج عن أطره العريضة ومضامينه التفصيلية، ومساراته النظرية، ودون الاعتماد على استمارة استبيان لا يستطيع الباحث جمع المادة العلمية من الحقل الاجتماعي ولا يستطيع التقيد بالمواضيع الأساسية لبحثه ولا يستطيع طرح أسئلة على المبحوثين بصيغة متكاملة ومنسقة.

حيث تكون هذه الأسئلة موجزة وسهلة التناول من طرف المبحوثين وذلك بغية مساعدتهم على الإجابة على أكمل وجه.

قد صيغت كل الأسئلة المكونة الاستمارة بشكل مغلق إذ يتم اقتراح الإجابات المناسبة والمتوقعة ووضعها في شكل خيارات للمبحوث الذي يختار الأجوبة التي يراها مناسبة والملائمة.

حيث كانت زياراتي لمركز إعادة التربية والتأهيل الكائن ببن عاشور ولاية البليدة، تتم يومياً مدة 45 يوماً ، ابتداء من 19 ماي 2008، والتي كان فيها عدد نزلاء المركز 100 حدثاً، حيث ترافقني أخصائية اجتماعية وأخصائية نفسية لغرفة خاصة حيث أسلم الاستمارة للمبحوثين بغية الإجابة عليها بدون تدخل مني ما عدا مساعدتي لبعض الأحداث لمن لا يعرفون الكتابة.

أما المحاور التي تتناولها الاستمارة فهي كالتالي:

1- بيانات أولية عن المبحوث:

السن، المستوى التعليمي،المستوى التعليمي للأب والأم، مكان الإقامة، مدة الإقامة في المركز، عدد مرات الإقامة في المركز، دخل الأسرة، نوع السكن، سبب الإحالة، عدد أجهزة التلفاز.

2- القنوات المفضلة لدى الحدث:

القنوات التي يتابعها: محلية، عربية، أجنبية، الأفلام التي يفضلها.

3-مشاهدة القنوات الفضائية:

الهدف من مشاهدة القنوات الفضائية.

4- التباين في مشاهدة برامج القنوات الفضائية:

مكان مشاهدة القنوات الفضائية، عدد الساعات التي يقضيها في مشاهدة برامج القنوات الفضائية الأوقات التي يشاهد فيها هذه البرامج، السهر في مشاهدة برامج القنوات الفضائية، الأيام المفضلة لمشاهدة برامج القنوات الفضائية.

5- دور الأسرة في انتقاء ما يشاهده الحدث:

تدخل الأهل من عدمه في مراقبة الحدث لما يشاهده من برامج، مشاركة الأسرة من عدمها في مشاهدة القنوات الفضائية.

6- برامج القنوات الفضائية وعلاقتها باكتساب الحدث للسلوك الانحرافي

تأثير برامج القنوات الفضائية في سلوك الحدث، ضرر بعض برامج القنوات الفضائية من عدمها.

وبعد هذا كله نحاول تصنيف هذه البيانات وتبويبها حسب كل عنصر من عناصر الموضوع مستخدماً الجداول و الرسومات التوضيحية.

ثالثاً : نتائج الدراسة

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

1- النتائج الخاصة بالأحداث المنحرفين:

أظهرت النتائج أن أغلبية -عينة- المنحرفين بنسبة(74%) قد قضوا فترة لا تزيد عن 6 أشهر، كما أظهرت النتائج أن السرقات بأنواعها تتصدر الأخطاء التي ارتكبها المنحرفون بنسبة (30 %)، تليها القضايا الأخلاقية والهروب من المنزل بنسبة (20%)، والاعتداء والمشكلات الأسرية بنسبة (12%)، في حين كانت قضايا تعاطي المخدرات بنسبة (6%).

كما أظهرت أن غالبية الأحداث المنحرفين يقيمون لأول مرة في المركز أي أنهم حديثوا عهد بالانحراف حيث وجدت نسبة (82%) من عينة الأحداث المنحرفين أنهم يقيمون لأول مر،ة وهي نسبة مرتفعة مما قد يعطي مؤشرًا إلى ارتفاع نسبة الانحراف في الآونة الأخيرة، تليها نسبة (14%) ممن دخلوا المركز للمرة الثانية،و(4%) ممن دخلوا المركز للمرة الثالثة.

2-النتائج الخاصة بسن الأحداث المنحرفين:

أظهرت النتائج أن نسبة (48%) من الأحداث أن المنحرفين سنهم تتراوح بين 16 و 18 سنة، وأن نسبة (36%) من هؤلاء الأحداث سنهم يتراوح من 14 إلى أقل من 16 سنة، في حين أن الأحداث الصغيرين السن بالمقارنة مع الآخرين والذين تتراوح سنهم من 12 إلى أقل من 14 سنة كانت نسبتهم (16%).

3 – النتائج الخاصة بالمستوى التعليمي للأحداث:

أشارت نتائج الدراسة إلى أن نسبة (60 %) من العينة المدروسة كان مستواهم الدراسي متوسط، أما عن المستوى الابتدائي والثانوي فكانت النسبة متساوية لكل منهما ب (16%)، في حين أن نسبة الأمية لدى العينة لم تتجاوز (8%).

4 -النتائج الخاصة بسكن الأحداث المنحرفين :

أظهرت النتائج أن هناك تباينًا واضحًا بالنسبة للحي السكني بين الأحداث المنحرفين، إذ وجد أن نصف العينة المدروسة تسكن في شقة أي (50%)، في حين أن الذين يقطنون في فيلا بنسبة (22%)، أما عن الأحداث الذين يسكنون في سكن شعبي فكانت نسبته (20%)، ثم تأتي نسبة الذين يسكنون في بيوت قصديرية ب(8%)، وهذا ما يدل على أن حالة السكن ليس لها دخل في انحراف الأحداث.

5- النتائج الخاصة بالمستوى التعليمي للأبوين:

أ- بالنسبة للأب:

أظهرت النتائج أن نسبة الأمية ومستوى الابتدائي يمثلان أكثر من نصف عينة البحث بمجموع (60%)، مما يدل على تأثير المستوى التعليمي للأب على الحدث في التوجيه، والإرشاد، أو استعمال الطرق العلمية التربوية في مراقبة الحدث لما قد يتعرض له من مشاهد وبرامج تضره أكثر مما تنفعه.

في حين كانت نسبة (28%) من الآباء لهم مستوى متوسط، وهي أيضاً نسبة ملحوظة في سبب انحراف الأحداث، غير أن نسبة الآباء الذين لهم مستوى ثانوي أو جامعي فكانت (20%)، وهذا مؤشر يدل على دق ناقوس الخطر لدى الطبقة التي تتصف بالمثقفة في محاولة استرجاع هيبة الأب في معالجة مشاكل الحدث في التعرض لمختلف برامج القنوات الفضائية.

ب – بالنسبة للأم:

أظهرت النتائج أن نسبة الأمية ونسبة المستوى الابتدائي لدى الأم (88%)، أي الغالبية من عدد العينة المدروسة، وهذا ما يدل على أن للأم دور فعال لما تقوم به في البيت من رعاية جسدية ونفسية وتربوية، فإذا افتقدت الأم لمستوى تعليمي كلما كان الحدث مهيأ لتلقي مختلف السلوكات التي تقوده إلى الانحراف ومن ثم إلى عالم الجريمة، فالمستوى التعليمي للأم ضروري للحفاظ على سلوك الحدث، وتقويمه أو إرشاده بطرق علمية صحيحة.

كما أظهرت النتائج أيضاً أن نسبة المستوى في المتوسط و في الثانوي والجامعي لا تمثل إلا نسبة (10%) وهي نسبة ضئيلة بالمقارنة مع سابقتها.

6 -النتائج الخاصة مكان الإقامة:

بالنسبة لمكان الإقامة الحالية أظهرت النتائج أن نسبة (74%) من الأحداث المنحرفين يعيشون مع والديهم (الأب والأم)، في حين نجد النسبة (12%) لدى الأحداث المنحرفين الذين يعيشون مع أمهاتهم المتزوجات من رجال آخرين، أما عن الذين يسكنون سواء مع الأب أو مع الأم لوحدهم فكانت النسبة (4%) أما عن نسبة الذين يسكنون مع الجد أو مع أقاربهم فكانت النسبة (10%).

7 –النتائج الخاصة بالدخل الشهري للأسرة.

أظهرت النتائج وجود تباين بين الأحداث المنحرفين في الدخل الشهري، وهذا التباين واضح في تدني مستوى الدخل الشهري حيث نجد أن نسبة (16%) من عينة الدراسة كان دخل الأسرة يتراوح بين 20000 إلى أقل من 30000 دج، في حين أن نسبة (84%) يتراوح دخل الأسرة من 10000 إلى أقل من 20000 دج.

رابعاً : التحليل والتفسير

التساؤل الأول : ما هي أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الأحداث؟

أظهرت النتائج أن الأحداث المنحرفين يفضلون مشاهدة برامج القنوات الأوربية التي تعرض أفلام الجنس والعنف والإثارة حيث بلغت نسبة (74%) من عدد الأحداث المنحرفين.

كما أظهرت النتائج أن الأحداث المنحرفون يفضلون برامج قنوات « MBC » وقنوات روتانا وغيرها من القنوات التي تقدم أفلام أجنبية غربية مختلفة في مضمونها إلا أنها يغلب عليها البرامج ذات المضمون السيئ، يليها برامج قنوات روتانا، بينما جاءت برامج القنوات العربية التي تعرض أفلام الوثائقية في المرتبة الأخيرة بالنسبة للعينة.

التساؤل الثاني: ما هي أهداف مشاهدة القنوات الفضائية المفضلة لدى الأحداث؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم حساب الجداول التكرارية ، والنسب المئوية ،والمتوسطات الحسابية ، وتم ترتيب المتوسطات الحسابية لبيان استجابة عينة الدراسة تجاه العبارات التي تصف وجهة نظرهم تجاه أسباب مشاهدة القنوات الفضائية.

كما يتضح مما سبق أن استجابات عينة الأحداث الجانحين تجاه العبارات التي تصف أسباب مشاهدة القنوات الفضائية أن أهم الأسباب تتمثل في الرغبة في مشاهدة أفلام العنف و الإثارة بنسبة (74%)، تليها الرغبة في مشاهدة الأفلام البوليسية بنسبة(66%)، في حين نسجل نسبة (60%) من عدد الأحداث المنحرفين اللذين يفضلون مشاهدة القنوات الاستعراضية والغنائية، وبالمقابل نجد نسبة (54%) من عينة الدراسة تفضل مشاهدة أفلام الجنس، في حين تأتي أفلام الخيال والمسرحيات والأفلام الكوميدية الاجتماعية والعاطفية في المراتب الأخيرة.

السؤال الثالث: ما هي أنماط مشاهدة برامج القنوات الفضائية لدى الأحداث؟

يتبين لنا أن نسبة مشاهدة أفلام العنف وأفلام الجنس وأفلام الغناء تتجاوز نصف عينة الدراسة، في حين تأتي أفلام الخيال وأفلام كوميدية والمسرحيات في المرتبة الثانية أما الأفلام العاطفية والأفلام الاجتماعية فهي بنسب أقل، وبالتالي نجد أن أنماط المشاهدة تختلف من حدث من لآخر.

السؤال الرابع: ما هو دور الأسرة في انتقاء ما يشاهده الحدث من برامج في القنوات الفضائية؟

وللإجابة على هذا التساؤل نستدل بما حققته الدراسة سابقاً أين وجدنا ما نسبته (78%) من عينة الأحداث المنحرفين غير خاضعين لمراقبة الأهل في انتقاء برامج القنوات الفضائية، وهذا مما يمكننا القول بأن للأسرة دور فعال في تقويم سلوك الحدث، حيث كشفت عن وجود علاقة بين ضعف التوجيه الأسري وانحراف الأحداث، كما بينت أن الأحداث المنحرفين يشاهدون أفلام العنف والغرام، وأن الأسرة لا تتدخل في مدة المشاهدة ولا تتدخل في انتقاء ما يشاهده الحدث المنحرف .

وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بوجود أثر سلبي لفقدان دور الرقابة على انحراف الأحداث، ولذلك نرى أنه لكي تنجح فاعلية المدخل الوقائي لعدم عودة الأحداث للانحراف لابد من التأكيد على الدور الذي تقوم به الأسرة.

السؤال الخامس: هل هناك علاقة بين ما تبثه القنوات الفضائية من برامج واكتساب الأحداث للسلوك الإنحرافي؟

إن ما نسبته (81%) من العينة المدروسة التي أقرت بوجود علاقة بين ما تبثه القنوات الفضائية من برامج مختلفة واكتسابهم لبعض السلوكيات الإنحرافية، مثل محاولة تقليدهم لبعض الشخصيات التي تتصف بالعنف والسلوكيات الشاذة عن المجتمع الجزائري، وعن التقاليد السائدة فيه، حيث أن مشاهدة برامج القنوات الفضائية له دور في التأثير المباشر لبرامج القنوات الفضائية على اكتساب العنف وتؤيد هذه الدراسة نتائج كل من "**Rideau, w & (Sinclair, B.**) " في وجود علاقة ارتباط إيجابية بين التعرض للعنف السينمائي والتلفزيوني وبين جرائم العنف التي ارتكبها أعضاء العصابات كمجموعات.

وقد بينت الدراسات المتخصصة في علم اجتماع الجريمة أن المنحرفين يقرؤون غالبًا الكتب الضارة والمشكوك في أمرها بشكل أكثر مما يفعله غير المجرمين والسبب أن تلك الكتب والمجلات الضارة تعرض في الغالب الأفكار الإجرامية والجنسية غير العادية.[12]

ومن هذا كله نستنتج أن كل الفرضيات التي افترضناها سابقاً تحققت بنسبٍ متفاوتة، حيث وجدنا أن أهم القنوات الفضائية التي يشاهدها الحدث هي القنوات الغربية، وكذلك أن الهدف من مشاهدة القنوات الفضائية هو الرغبة في مشاهدة مظاهر العنف والإثارة والعاطفة، في حين يختلف نمط أو شكل المشاهدة من حدث إلى آخر، وهذا حسب اختلاف الظروف المحيطة بالحدث، كما أن هناك غياب لدور الأسرة في انتقاء ما يشاهده الحدث من قنوات فضائية، حيث أن مشاهدة برامج القنوات الفضائية له دور في التأثير المباشر لبرامج القنوات الفضائية على اكتساب العنف.

خاتمــة:

إن التوعية الصحيحة والجادة للأفراد في مجتمعنا بمدى التأثيرات السلبية لبرامج القنوات الفضائية المتعددة والمتنوعة، – وذلك لأن البيت هو الأساس الذي يجب الانطلاق منه لتعويد الأبناء ذكورًا، وإناثاً على انتقاء ما هو مفيد من تلك البرامج،– وذلك من أجل تفادي التأثيرات الخطرة لمضمون برامج القنوات الفضائية السلبية التي تهدد أخلاقيات ومعتقدات وثقافة وصحة الأحداث سواء الجانحين أو الأسوياء.

كما أنه يجب التوسع في نشر تعليم الكبار من خلال برامج محو الأمية لأن الدراسة أظهرت أن هناك نسبة من الأمية لدى الآباء والأمهات تؤثر على قيامهم بالدور المنشود أو الفعال في عملية توجيه الأبناء، وأن الاهتمام المدروس بالأسرة من شأنه أن يُعدّل مختلف السلوكيات غير الحميدة وبالتالي المحافظة على النشء القادم وضمان مراقبة فعلية من طرف الآباء لسلوك الأبناء، خاصة فيما يتعلق بمحتوى برامج القنوات الفضائية التي يتم مشاهدتها، وأن تغلب لغة الحوار بينهم في توضيح مخاطر وفوائد كل قناة فضائية.

الهوامش:

1-عدلي العبد، عاطف. دراسات في الإعلام الفضائي ، دار الفكر العربي ،1996، ص ص 97- 98.
2- إحصائيات مقدمة من طرف مركز الأمن لحماية الأطفال من الانحراف بابن عكنون – الجزائر لسنة 2007.
3- أحمد نبيل ،محمد الصادق. موقف الشريعة الاسلامية من النظريات النفسية والاجتماعية والتكاملية المفسرة لانحراف الأحداث. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض 1987، ص ص184-185.
4- الشمري ،عدلي .السلوك الانحرافي . دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1992، ص .53
5- أحمد نبيل، محمد الصادق ، مرجع سابق، ص 185.
6- سامية ،حسن الساعاتي. الجريمة والمجتمع. الطبعة 2 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص98.
7- ميشيل مان. موسوعة العلوم الاجتماعية.ترجمة: عادل الهواري وآخرون، مكتبة الفلاح، 1994، ص661-.664
8- خليل ،معن. علم المشكلات الاجتماعية. دار الشروق للنشر، عمان، 1998، ص ص128-129.
9- نبيل، رمزي. النظرية السوسيولوجية المعاصرة. دار الفكر الجامعي، 1999، ص 354.
10- محمد، خليفة. مقدمة في السلوك الإجرامي.دار المعارف، القاهرة، 1962، ص 24.
11- ربحي مصطفى، عليان .البحث العلمي، أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته : .بيت الأفكار الدولية .عمان.2002 .ص 159.
12- محمد بن إبراهيم، السيف، الظاهرة الإجرامية في ثقافة وبناء المجتمع المصري، مكتبة النهضة، 1998، ص 91.